

أضواء البيان

@ 242 قالوا : فما فضله على الأنبياء قال : قال ﷻ تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِّمٍ لِّيُبَيِّنَ لَهُمْ } وقال ﷻ عز وجل لمحمد صلى ﷻ عليه وسلم : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ } ، فأرسله إلى الجن والإنس) ، ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده كما تقدم وهو تفسير من ابن عباس للآية بما ذكرنا والعلم عند ﷻ تعالى : قوله تعالى : { فَارْدُّوا أَيْدِيَهُمْ } في أولئك الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوا عليها غيظاً وحنقاً لما جاءت به الرسل إذ كان فيه تسفيه أحلامهم وشتيم أصنامهم وممن قال بهذا القول عبد ﷻ بن مسعود وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير واستدل له بقوله تعالى { وَإِذَا خَلَاوْاْ عَنَّا ظُهُورُهُمْ فَلَآ أَبْصَارُ لِّمَنْ أَعْيُنُكُمْ أَلَّا يُرَآهُمْ مِنْ أَغْطَاطٍ } وهذا المعنى معروف في كلام العرب ومنه قول الشاعر : % (تردون في فيه غش الحسود % حتى يعض على الأكف) % . يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه وكفيه : قال القرطبي ومنه قول الآخر أيضاً : % (قد أفنى أنامله أزمة % فأضحى يعض على الوطيفا) % . أي أفنى أنامله عصاً وقال الراجز : أي أفنى أنامله عصاً وقال الراجز : % (لو أن سلمى أبصرت تخددي % ودقة بعظم ساقي ويدي) % (وبعد أهلي وجفاء عودي % عضت من الوجد بأطراف اليد) % .

وفي الآية الكريمة أقوال غير هذا منها : أنهم لما سمعوا كتاب ﷻ عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب . ويروى عن ابن عباس ، ومنها : أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول ﷻ إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله . ويروى هذا عن أبي صالح ومنها : أن معنى الآية أنهم ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار ، وعلى هذا القول ففي بمعنى الباء ويروى هذا القول عن مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب قال ابن جرير وتوجيهه أن في هنا بمعنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك ﷻ بالجنة يعنون في الجنة وقال الشاعر :